رسائل ثقافية

رسالة تونس

من ابن الاغلب

مجلة من أجل الشعراء الشبان

لابد أن القراء اطلعوا على عودة مجلة (الحياة الثقافية) التي تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية الى الظهور من جديد بعد احتجاب دام بعض الشهور . وقد ظهرت هذه المجلةفي صورة تغاير ما كانت عليه اذ لم تعد مجلة ثقافية جامعة متنوعة المواضيع والابحاث ولكنها اصبحت مجلة متخصصةيتفرد كلعدد من أعدادها بملفمنالملفاتحول نوع من الانواع الادبية .

فصدر عدد خاص بالقصة ، ثم عدد خاص بالدراسات ، وتزمع المجلة متابعة اصدار الاعداد الخاصة في كل شهر حول الشعر ، والمسرح ، والفنون التشكيلية ، والتراث وغير ذلك . وقد وجدت المجلة في بادىء صدورها بعض المعارضة من طرف القراء لكن الصحافة لم تلبث أن حبذت هذا الاسلوب ، لان هذه الاعداد الخاصة سوف تصبح وثائق هامة تفيد الباحثين الذين يضيعون بعض الجهد عند بحث الموضوعات الخاصة .

ومن رأي أسرة تحرير المجلة أن عهد المجلات الجامعة قد ولى، وأن الاختصاص أصبح أمرا مرغوبا فيه حتى بالنسبة للثقافة . وترى أن ليس هناك شيء يمنع من اصدار عدد من المجلات الثقافية الاخرى ذات الطابع العام .

وبالاضافة الى مجلة (الفكر) التي ماتزال تواصل الصدور بانتظام منذ أكثر من عشرين سنة ، ومجلة (القصص) التي يصدرها نادي القصة . فان هناك عزما مكثفا من قبل جماعة نادي الشعر لاصدار مجلة « شعرية » فصلية تتيح الفرصة للادباء الشبان كي ينشروا بعض نتاجهم المرفوض من قبل الصحف والمجلات لاسباب فنية وذوقية .

على ان صدور مثل هذه المجلة الاخرى المختصة بالشعر يواجه بعض المشاكل بسبب اختلاف الشعراء أنفسهم وانقسامهم على أنفسهم انقساما عجيبا . وقد يكون صدور مجلة خاصة بالشعر الجديد حدثا فريدا من نوعه بالنسبة لاقطار المغرب العربي ، ولربما كان لصدورها أثر في جمع شتاتهم ، في ظرف يواجه فيه الشعر الجديد معارضة حادة من طرف دور النشر التي تأبى أن تمد اليه يد المساعدة ، ومن طرف الصحافة التي لا تعترف بكل مالا ترى قراءها يقبلون عليه بشغف .

وبسبب الشكاوي المتعددة والصارخة التي أطلقها الشعراء الشبان من خلال الصحافة عبرت وزارة الشؤون الثقافية لهؤلاء الشعراء عن استعدادها لتقديم ما يحتاجون اليه من المساعدة المادية لانجاز اي مشروع من شأنه أن يحقق لهم الخروج من الازمة التي يشعرون بها . وأمام هذا التحدي لم يبق للشعراء الذين ينعتون انفسهم بالشعراء الشبان (واعمار بعضهم تربو عن الثلاثين سنة بكثير) الا أن يثبتوا أنهم جديرون بمثل هذه المساعدة ومثل تلك المؤازرة التي طالبوا بها ، وألحوا في الطلب .

محاكمة اتحاد الكتاب :

مثلما يحدث في كل سنتين تعرضت الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب التونسيين لمحاكمة شديدة من طرف « القاعدة » وكان الاقبال على الانتخابات التي نظمت أخيرا عريضا جدا فاق كل السنوات الماضية اذ أصبح الحماس للعمل داخل هذه المنظمة الادبية واضحا لدى كل الاعضاء ، خصوصا بعد ان استفاق الاتحاد من غفوته الماضية ، وقدم بعض ما يبرر وجوده من خلال عقده لمؤتمرين هامين، حول (الكتابة القصصية عند الادباء الشبان) و (النقد الادبي المعاصر) في الدورة المنصرمة .

ورغم أن انتقادات شديدة وجهت الى الهيئة الادارية لانها لم تقم بما يجب أن تقوم به من نشاط ثقافي مكثف ، ولم يكن لها برنامج محاضرات وندوات ، ولم تعمل على التعريف بواقع الادب التونسي ، واستغل افرادها السفرات المتعددة التي اتاحها التبادل فاثروا بها أنفسهم دون غيرهم شعارهم في ذلك « الاقربون أولى بالمعروف » .. الا أن هذه الانتقادات قوبلت بارتياح من طرف الهيئة الادارية واعتبرتها مظهرا صحيا يدل على أن هناك متابعة موصولة من طرف الجميع لكل ما يقوم به الاتحاد .

وكانت أهم القضايا التي أثيرت تتعلق بحرية الادب والاديب ويرفض الجميع لكل رقابة على المطبوعات من طرف الدولة (مما حدا بكتابة الدولة للاعلام لان تصدر بيانا توضح فيه أنها لم تمارس الرقابة على اتجاه الثقافة ، ولا تنوي اتخاذ أي اجراء اداري بهذا الصدد) ، كما أثيرت قضايا النشر والتوزيع وحقوق التأليف . وقد أجمعت التدخلات على وجود أزمة في توزيع الكتاب بالرغم من توفر ظروف النشر حاليا ، ولاحظت الاكثرية بأن توزيع الكتاب التونسي في العالم العربي يجابه مصاعب شديدة نظرا لارتفاع تكاليف الكتاب في تونس ، وما يمكن ان تعكسه هذه التكاليف من حد لرواج الكتاب التونسي في الاقطار العربية الاخرى . وقد انتهت هذه الجلسة الى انتخاب هيئة قديمة جديدة ، اذ خرج عضوان من الهيئة المتخلية هما (الدكتور محمد فنطر ، والطيب العنابي) اللذان عوضا بعضوين جديدين هما : الدكتور عمر بن سالم ومحمد مواعدة . وبعد تنافس (١٩) شخصا على المقاعد العشر داخل الهيئة الادارية أفضت الاقتراعات الى هيئة على النحو التالي : محمد مزالي (رئيسا) العروسي المطوى (نائب رئيس) عمر بن سالم (كاتبا عاما) عوضا عن مصطفى الفارسي ، وسمير العيادى (مساعدا للكاتب العام) والبشير بن سلامة (أمينا للمالية) وعبد

العزيز قاسم (مساعدا لامين المال) اما الاعضاء الباقون فهم : الميداني بن صالح ، ومحمد مواعدة ، ونور الدين صمود .

ومن المنتظر ان تعرض الهيئة الجديدة برنامج عملها على الهيئة العامة ، ويتضمن هذا البرنامج عددا من الملتقيات والندوات والمحاضرات ، والتبادل ، عملا بالتوصيات والملاحظات ، التي أبدتها الهيئة العامة .

كتب تفوز بجوائز الدولة :

أعلنت قبل أسابيع اسماء الكتب التي حصلت على جوائز الدولة التشجيعية للانتاج الادبي والعلمي لسنة ١٩٧٧ ، وقد فاز بها هذه السنة في الدراسات الادبية والعلوم الانسانية كل من: عبدالحفيظ منصور (المختار من قطب السرور) للرقيق القيرواني ، والدكتور الهادي كرو (التشريع الاسلامي) ورشاد الامام (مدينة القدس) ومحمد صالح الجابري (ديوان الشعر التونسي الحديث) وعلي دب (أبو حيان التوحيدي) وفي مجال القصة رواية (في بيت العنكبوت) لمحمد بن صالح ، و (مربعات بلاستيك) لعبد الواحد براهم .

أما في المسرح فقد رشحت مسرحية (الشياطين في القرية) لرشاد الحمزاوي . بالاضافة الى بعض كتب الاطفال التي أنجزتها الدار العربية للكتاب .

وقد أعربت وزارة الشؤون الثقافية عن استعدادها للترفيع في مبالغ هذه الجوائز ابتداء من السنة القادمة ليصبح مقدار كل جائزة ألف دينار تمنح لافضل كتاب في ميدان من الميادين الادبية ، كالدراسات والشعر والقصة والمسرح وغيرها . وصدر اعلان برصد جائزة كبرى مقدارها خمسة آلاف دينار تونسي أي حوالي (ألف دولار) بعنوان جائزة بورقيبة للدراسات الادبية . على أن تمنح هذه الجائزة في المستوى العربي ولشخصية من الشخصيات المرموقة في الوسط الفكري ممن قدموا خدمات جليلة للحضارة العربية ، وافادوا تراثها وفكرها ، واثروا بابداعهم .

ومن المحتمل أن يعهد التحكيم في هذه الجائزة الى جهات عربية ، كاتحاد الادباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمجامع العلمية واللغوية العربية . ويمكن أن تكون الترشيحات لهذه الجائزة اما مباشرة الى وزارة الثقافة بتونس أو عن طريق الهيئات العلمية المذكورة . ويشترط البيان الذي أعلن عن احداث هذه الجائزة وجوب تعضيد كل ترشيح بما يدعمه من المؤلفات والنصوص والوثائق .

ولعل هذه الجائزة تكون حافزا لبقية الاقطار العربية التي لا ترصد جوائز على المستوى العربي بأن تعير الادب والفكر بعض اهتمامها وان تكرم رجاله المبدعين الذين يقومون بجهد كبير للتعريف بالحضارة العربية واخصابها . ومن الممكن أن ترصد بعض الاقطار العربية الاخرى جوائز سنوية لاحسن رواية عربية او افضل مجموعة قصصية أو أحسن كتاب في التراث ، أو ابدع دراسة نظرية . وبذلك تتكامل الجهود الرامية الى خدمة الثقافة واللغة العربية الخالدة على الدوام .

رسالة باريس

من كاظم جهاد

معارض جديدة لفناني المدن الفرنسية :

● قدمت مدينة (تور) وهي من مدن فرنسا الوسطى معرضا موسعا لفنانيها التشكيليين ، فيما اجتمعت في مركز جورج بومبيدو الثقافي مدن الجنوب الفرنسي : (مرسيليا) و (غرونوبل) وسواهما ، لتقديم بعض من نتاجات فنانيها الشباب ومحتويات متاحفها الفنية .

ضمت هذه المعارض عدة اتجاهات فنية ، وعدة مسارات توزعت عليها الرؤية التشكيلية لمبدعي مدن فرنسا . لقد كان بعضها يمت بصلة الى الماضي : الطبيعية والتعبيرية ، وبعضها ينزع الى آفاق جديدة : يبتكرها ويلونها على هواه بألعابه المستحدثة ورؤاه المفاجئة، متوصلا احيانا الى ان يمنح هذا النزوع الابتكاري والمفاجيء تبريره وركيزته الفنية المقنعة ، وواقعا احيانا اخرى في فخاخ السهولة والمجانية ومحاولة الفات النظر ..

من بين هذه النزوعات الجديدة ، محاولة طرحها فنانو مدينة (تور) لتأسيس اتجاه فنتازي (خيالي) معاصر . يعتمد هذا الاتجاه على محاولة اشادة عوالم تخييلية وتركيم رؤى تشكيلية لا تخلو من مظاهر الشعر والبساطة والطفولة . ان اصحاب هذا الاتجاه يتوسلون بعناصر الطبيعة اولا ، لتحقيق هذه الرؤية الفنية ، فهناك العالم النباتي : التفافاته ومظاهرة المكتنزة بالاسرار ، وايضا : تعرجات الصخر وتغضنات البحر ؛ الاب الحنون المحيي ، حتى في حساب (العقوقيين) الجدد كما يبدو . انهم في محاولتهم تلك ، انما ينزعون الى تشييد عالم يعتمد أساسا على رصيد المخيلة ومكنوزات الوعي الفني الباحث عن اشد الاشكال تمثيلا لالفة يبدو أنها باتت مفتقدة، وتطمين او حزام حارس للروح المعاصرة ، يبدو انه لم يعد اليوم في عداد ما هو تحت اليد .

غير ان فناني هذا الاتجاه يسقطون أحيانا ، ومن دون كثير وعي منهم ، خصوصا ان دعائمهم الفكرية ودعاواهم التنظيمية لا تبدو معززة بالمتانة الكافية كما هي حال أغلب الفنانين الجدد الذين تراهم يتحولون فجأة من منطقة (الصفر) الفني الى اقصى حدود التجربة والانقلابية ، يسقطون احيانا ، ومن غير كثير وعي منهم كما قلنا ، في محاكاة جديدة للطبيعة ، نازعين عن أذهانهم ما كان قد لقيه اسلافهم في هذا المضمار من رفض وانكار شديدين ، باعتبار ان هذه المحاكاة لعناصر الطبيعة ومشاهدها انما يلغي الفاعلية الاساسية للعمل الفني وهي الخلق واعادة طرح جميع الاشياء ، أفكارا ومشاهدات ، على بساط البحث ، وتمريرها على مخابر الوعي وردهات حكام وقضاة المخيلة الخلاقة ، بحيث تخرج منها بالتالي وقد مسها جنون وتحول شاملان ..ان هذا الانكار والاحتجاج البالغ لم يسلم منه حتى «بتهوفن» حين جرب لمرة واحدة ان يحلي احدى سمفونياته (وهي السادسة) بتقليد بعض اصوات الطير .

ان حالة اخرى مشابهة ، من حالات محاكاة الطبيعة ، بشيء من الميكانيكية ومجافاة بعض شروط الخلق الفني ، تتجلى في رسوم بعض فناني مدينة « مرسيليا » وهم يحاولون ان يقدموا شهادة على (مظاهر الضجيج) في الحياة المعاصرة .. انهم وبحاسة التقاط شبه فوتوغرافية يصورون طوابير السيارات ، دورانها وانعطافاتها المفاجئة ، وقد يعمدون احيانا الى اكساب هذا المظهر ملمحا كاريكاتوريا بأن يمنحوا هذه (الكائنات) المعدنية اشكالا مضخمة وممطوطة وقوى شيطانية مفزعة وقديرة .. غير اننا نجد في المحصلة النهائية انه اذا كان الاتجاه الاول (فناني مدينة تور) يعتمد على محاكاة الطبيعة بصيغتها الاولى واشكالها اللدنة ، الحنونة ، مضمنا

العزيز قاسم (مساعدا لامين المال) اما الاعضاء الباقون فهم : الميداني بن صالح ، ومحمد مواعدة ، ونور الدين صمود .

ومن المنتظر ان تعرض الهيئة الجديدة برنامج عملها على الهيئة العامة ، ويتضمن هذا البرنامج عددا من الملتقيات والندوات والمحاضرات ، والتبادل ، عملا بالتوصيات والملاحظات ، التي أبدتها الهيئة العامة .

كتب تفوز بجوائز الدولة :

أعلنت قبل أسابيع اسماء الكتب التي حصلت على جوائز الدولة التشجيعية للانتاج الادبي والعلمي لسنة ١٩٧٧ ، وقد فاز بها هذه السنة في الدراسات الادبية والعلوم الانسانية كل من: عبدالحفيظ منصور (المختار من قطب السرور) للرقيق القيرواني ، والدكتور الهادي كرو (التشريع الاسلامي) ورشاد الامام (مدينة القدس) ومحمد صالح الجابري (ديوان الشعر التونسي الحديث) وعلي دب (أبو حيان التوحيدي) وفي مجال القصة رواية (في بيت العنكبوت) لمحمد بن صالح ، و (مربعات بلاستيك) لعبد الواحد براهم .

أما في المسرح فقد رشحت مسرحية (الشياطين في القرية) لرشاد الحمزاوي . بالاضافة الى بعض كتب الاطفال التي أنجزتها الدار العربية للكتاب .

وقد أعربت وزارة الشؤون الثقافية عن استعدادها للترفيع في مبالغ هذه الجوائز ابتداء من السنة القادمة ليصبح مقدار كل جائزة ألف دينار تمنح لافضل كتاب في ميدان من الميادين الادبية ، كالدراسات والشعر والقصة والمسرح وغيرها . وصدر اعلان برصد جائزة كبرى مقدارها خمسة آلاف دينار تونسي أي حوالي (ألف دولار) بعنوان جائزة بورقيبة للدراسات الادبية . على أن تمنح هذه الجائزة في المستوى العربي ولشخصية من الشخصيات المرموقة في الوسط الفكري ممن قدموا خدمات جليلة للحضارة العربية ، وافادوا تراثها وفكرها ، واثروا بابداعهم .

ومن المحتمل أن يعهد التحكيم في هذه الجائزة الى جهات عربية ، كاتحاد الادباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمجامع العلمية واللغوية العربية . ويمكن أن تكون الترشيحات لهذه الجائزة اما مباشرة الى وزارة الثقافة بتونس أو عن طريق الهيئات العلمية المذكورة . ويشترط البيان الذي أعلن عن احداث هذه الجائزة وجوب تعضيد كل ترشيح بما يدعمه من المؤلفات والنصوص والوثائق .

ولعل هذه الجائزة تكون حافزا لبقية الاقطار العربية التي لا ترصد جوائز على المستوى العربي بأن تعير الادب والفكر بعض اهتمامها وان تكرم رجاله المبدعين الذين يقومون بجهد كبير للتعريف بالحضارة العربية واخصابها . ومن الممكن أن ترصد بعض الاقطار العربية الاخرى جوائز سنوية لاحسن رواية عربية او افضل مجموعة قصصية أو احسن كتاب في التراث ، أو ابدع دراسة نظرية . وبذلك تتكامل الجهود الرامية الى خدمة الثقافة واللغة العربية الخالدة على الدوام .

رسالة باريس

من كاظم جهاد

معارض جديدة لفناني المدن الفرنسية :

● قدمت مدينة (تور) وهي من مدن فرنسا الوسطى معرضا موسعا لفنانيها التشكيليين ، فيما اجتمعت في مركز جورج بومبيدو الثقافي مدن الجنوب الفرنسي : (مرسيليا) و (غرونوبل) وسواهما ، لتقديم بعض من نتاجات فنانيها الشباب ومحتويات متاحفها الفنية .

ضمت هذه المعارض عدة اتجاهات فنية ، وعدة مسارات توزعت عليها الرؤية التشكيلية لمبدعي مدن فرنسا . لقد كان بعضها يمت بصلة الى الماضي : الطبيعية والتعبيرية ، وبعضها ينزع الى آفاق جديدة : يبتكرها ويلونها على هواه بألعابه المستحدثة ورؤاه المفاجئة، متوصلا احيانا الى ان يمنح هذا النزوع الابتكاري والمفاجيء تبريره وركيزته الفنية المقنعة ، وواقعا احيانا اخرى في فخاخ السهولة والمجانية ومحاولة الفات النظر ..

من بين هذه النزوعات الجديدة ، محاولة طرحها فنانو مدينة (تور) لتأسيس اتجاه فنتازي (خيالي) معاصر . يعتمد هذا الاتجاه على محاولة اشادة عوالم تخييلية وتركيم رؤى تشكيلية لا تخلو من مظاهر الشعر والبساطة والطفولة . ان اصحاب هذا الاتجاه يتوسلون بعناصر الطبيعة اولا ، لتحقيق هذه الرؤية الفنية ، فهناك العالم النباتي : التفافاته ومظاهرة المكتنزة بالاسرار ، وايضا : تعرجات الصخر وتغضنات البحر ؛ الاب الحنون المحيي ، حتى في حساب (العقوقيين) الجدد كما يبدو . انهم في محاولتهم تلك ، انما ينزعون الى تشييد عالم يعتمد أساسا على رصيد المخيلة ومكنوزات الوعي الفني الباحث عن اشد الاشكال تمثيلا لالفة يبدو أنها باتت مفتقدة، وتطمين او حزام حارس للروح المعاصرة ، يبدو انه لم يعد اليوم في عداد ما هو تحت اليد .

غير ان فناني هذا الاتجاه يسقطون أحيانا ، ومن دون كثير وعي منهم ، خصوصا ان دعائمهم الفكرية ودعاواهم التنظيمية لا تبدو معززة بالمتانة الكافية كما هي حال أغلب الفنانين الجدد الذين تراهم يتحولون فجأة من منطقة (الصفر) الفني الى اقصى حدود التجربة والانقلابية ، يسقطون احيانا ، ومن غير كثير وعي منهم كما قلنا ، في محاكاة جديدة للطبيعة ، نازعين عن أذهانهم ما كان قد لقبه اسلافهم في هذا المضمار من رفض وانكار شديدين ، باعتبار ان هذه المحاكاة لعناصر الطبيعة ومشاهدها انما يلغي الفاعلية الاساسية للعمل الفني وهي الخلق واعادة طرح جميع الاشياء ، أفكارا ومشاهدات ، على بساط البحث ، وتمريرها على مخابر الوعي وردهات حكام وقضاة المخيلة الخلاقة ، بحيث تخرج منها بالتالي وقد مسها جنون وتحول شاملان ..ان هذا الانكار والاحتجاج البالغ لم يسلم منه حتى «بتهوفن» حين جرب لمرة واحدة ان يحلي احدى سمفونياته (وهي السادسة) بتقليد بعض اصوات الطير .

ان حالة اخرى مشابهة ، من حالات محاكاة الطبيعة ، بشيء من الميكانيكية ومجافاة بعض شروط الخلق الفني ، تتجلى في رسوم بعض فناني مدينة « مرسيليا » وهم يحاولون ان يقدموا شهادة على (مظاهر الضجيج) في الحياة المعاصرة .. انهم وبحاسة التقاط شبه فوتوغرافية يصورون طوابير السيارات ، دورانها وانعطافاتها المفاجئة ، وقد يعمدون احيانا الى اكساب هذا المظهر ملمحا كاريكاتوريا بأن يمنحوا هذه (الكائنات) المعدنية اشكالا مضخمة وممطوطة وقوى شيطانية مفزعة وقديرة .. غير اننا نجد في المحصلة النهائية انه اذا كان الاتجاه الاول (فناني مدينة تور) يعتمد على محاكاة الطبيعة بصيغتها الاولى واشكالها اللدنة ، الحنونة ، مضمنا

اياها فحوى ايجابية ونشاطا تعزيميا ينهض بمهمة حماية وتطمين الحساسية المعاصرة، فان الاتجاه الثاني عند (فناني مدن الجنوب) قد اتخذ سبيله الى طبيعة جديدة بدأت تفرض نفسها علينا وتدفع امامنا حضورها المدوي ؛ طبيعة جديدة غاشمة انبثقت من مخلوقات الانسان نفسه ، ومبتكراته التي ارتدت عليه كالسلاح الفاسد ، واصبحت امامه وأمام مظهر بدائيته المستعادة قوة خارجية متسلطة وعنيفة لا تقل قسطا وعنفا وابهاما عن الرعد والحمم البركانية وزلزالات الارض ،

واذا كان الاتجاه الاول يسقط في تنميق شكلي ، وسيولة شاعرية لا تصمد كثيرا امام مواصفات التعقد والكثافة والاقتدار على التركيب والمداورة وتعدد العناصر والادائيات ، التي بلغها الفن التشكيلي العالمي ، فان الاتجاه الثاني يسقط في نوع من الصحافية والتبسيط والاعلان والصراخ اللوني ، وكل ما يندرج ضمن امكانات العصر الدعائي ، الذي هو في الاساس عصر أميركي شاع في الممارسات الفنية الاخيرة ، يفترض ان تنهض لمقاومته واثبات بطلانه ورخايته جميع أزماتنا وأقتداراتنا الجديدة .

انه سيكون من المستبعد تماما ان تنهض بمهمة التفريد بمظاهر حياة معاصرة ، قائمة على الضجيج والسرعة والتلوث ، بضعة رسوم لم تحم نفسها هي من السقوط في محاكاة انماط الاداء السائدة وتقنيات التعبير المعممة بما فيها من تلفيق وجنون سرعة وتهور ومخاطرة .

ضم المعرض ايضا بعضا من الاعمال التي تندرج ضمن فنون النحت الجديدة : فنون الحدادة والسمكرة والتجميع .. ان المرء يحار احيانا ان كان ممكنا له ان يعتبر هذه الاعمال مجرد تحفيات ومكونات معدة للزينة أم اعمالا فنية حقة !! مع هذا فان بعضا منها قد احتوى على رموز وتشكلات تبلور بعضا من وجوه المأساة الانسانية الراهنة ، في اوربا على الاقل . ان واحدا من هذه الاعمال لم يكن سوى تجميع بعض الادوات المهملة : مكنسة عتيقة ، قفازات بالية، رتاج ، بالة من القش ، وجمجمة بشرية حقيقية مثبتة في الاسفل.. مهملات يومية تحيط وجودا مهملا برمته . انه موات .. يضرب في موات ، ويتقسم على موات ، فلا ينتج الا مواتا مبهوتا ، ومتحللا .

ملاحظة : سيستمر المعرض لمدة شهرين ، على ان تعقبه معارض اخرى لمدن فرنسية اخرى ، يؤمل ان تقدم لنا مناحي جديدة لتشكلات الوعي الفني الشبابي المعاصر .

جولييت غريكو :

ـ يجب الكف ـ في اوربا ـ عن تداول كلمة (اجنبي)او (عربي) كشتيمة ..

● عادت المطربة الفرنسية الشهيرة (جولييت غريكو) الى الغناء بعد توقف دام سنتين .. وستقدم استعراضاتها الغنائية الجديدة في « مسرح المدينة » الشهير بباريس . وبهذه المناسبة ، أجرت معها (مجلة الاسبوعين الصغيرة) حوارا أقدم هنا ترجمته لقراء (الاقلام) ..

ان (جولييت غريكو) تتحدث في هذا الحوار (وكما سيلحظ القارىء ذلك بنفسه) كما يتحدث شاعر يقظ عن وعيه الشعري ، أو ناقد حصيف عن مهمته النقدية .. لغتها بسيطة واعتيادية ، ولكنها مشبعة بلا عج انساني حي ومقدرة تشخيصية . ان الذي يتحدث هنا هواء انسان يتحسس الحياة بقلبه ايضا ، وبقلبه ايضا يخف الى ملامسة الاشياء وليس بحواسه الخارجية فقط .

انها تتحدث هنا عن ليالي (السان جرمان دوبريه) بباريس في سنوات الاربعينات وما قبلها .. تلك الساحة التي كانت مملكة الفن والشعر ، والمكان الاثير والمفضل لرجال مثل : جاك بريفير، ايف مونتان ، جان غابان ريجيس ريجياني ، جان دوه ، وسواهم ..

وتتحدث ايضا عن نظرتها الى الممارسات الفنية الحالية ومجايليها من المطربين .

ان (جولييت غريكو) هنا ، هي من التعاطفية الانسانية بحيث أنها تقرر أن تغني عن (الزنجي) و (العربي) لتجعل من أيقاع هاتين الكلمتين قريبا اكثر ، الى قلب الفرد الاوربي اليوم ، المقاد بدون وعي منه الى عدائية فظة ومشاعر سبالة تجاه العرب والزنوج ، حقنتها في دواخله أجهزة الاعلام الغربي المعادية للشعوب . هذا هو نص الحوار مع جولييت غريكو :

●هل تستطيعين ان تحدثينا عن أيام (السان جرمان دوبريه)؟

ـ كانت (السان جرمان دوبريه) هي المكان المفضل لدينا جميعا. نحن الذين لم نكن نعرف بعد (مبادىء) المال والتجارة . نحن الذين لم نكن نعرف مفهوم الربح كما هو سائد اليوم . لم يكن ثمة مجتمع استهلاكي كمجتمع اليوم ، الفاجع حقا والدراماتيكي .. لم يكن تصنيع الاسطوانات يومها شائعا ، وكانت الاغنية الطازجة ، المؤداة بلحظتها هي حرفتنا ، وبقيت هكذا .

الناس الذين تلتقي بهم في (السان جرمان دوبريه) كانوا لطفاء ومنفتحين لكل حوار . كنت تستطيع ان تلتقي بأستاذك في (السوربون) وهو يحتسي فنجانه في المكان بهدوء ، وان تدير معه أي حوار شئت ، دون ان يبعث بك الى التهلكة ، آه ، كانت الايام تسيل برقة . كان ذلك عهد « التحرير » . بمعنى آخر زمن « الحرية » المستعادة .. ذلك الشعور الذي لا يجده المرء اليوم لدى الناس لانهم ليس لديهم الاعتقاد الكافي بأنهم قد فقدوا حريتهم ، مع انهم قد فقدوها فعلا . وانهم لا يلاحظون ذلك .

انني قلقة تماما لما اشاهده اليوم . انه تماما خارج المعايير والضوابط . انه حرفي بالمرة . ليس من هم سوى هم البيع .

● لماذا اخترت مؤخرا العمل في « مسرح المدينة » بدلا من مسرح « بوبينو » مثلا ؟

ـ « مسرح المدينة » هو الذي طلب مني المشاركة في برنامجه .. لأنني كنت اول من ساهم فيه . انه يحتفل الآن بعيده العاشر . لقد وافقت ايضا لانه مسرح كبير . مسرح جدير ورصين وهذا نادر اليوم . أنه يطلب عروضا تقدم لاناس بعيدين عن « الحس التجاري ».

● هل وافقت ايضا على سبيل الدعم والمساندة ؟

ـ أبدا . لقد وافقت بسرور بالغ .. بفرح ، فرح ان اجد من يتذكرني ، أنا الاولى التي ساهمت في هذا المجال .

● هل لديك جمهور بمعنى الجمهور الذي يتابع الفنان ويترقبه؟

ـ طبعا . في المرة الاخيرة التي قدمت فيها عرضا ، قبل سنتين، جاءني العديد ليحيوني .. تعرفت عليهم وكانوا في الغالب شبانا .. شبانا جيدين .

● هل هو جمهور من « النخبة » ؟

ـ انني لا أؤمن بالنخبة . هذه كلمة لا تسرني ابدا .. انني لا أطلب من الجمهور ماهي نوعيته .. ولا يهمني مستواه التعليمي والثقافي ، قدر ما يهمني ما يقوله لي وما يشعر به .. (النخبة) في النهاية غير موجودة . هناك ـ في رايي ـ أناس أذكياء وذوو حساسية، وآخرون بدونها .. والاذكياء ليسوا بالضرورة ذوي (ثقافة) .

ان الذين يخفون لسماع (براسان) او (بريل) أو (فيريه) ليسوا بالضرورة هم انفسهم الذين يجيئون لسماعي أو لسماع «فيس فيرسا » . انهم يحبونني لسبب ما .. لشيء ما يجدونه في ، ويحبون (باربارا) لآخر سواه .. ان الشباب اكثر لطفا ، واكثر فطنة أيضا ، مما نتوقعهم .

● أنت واحدة من المطربات المعدودات اللواتي صمدن امام الاساليب السهلة في الاغنية ..

ـ انا لا اعرف ما هو هذا الشيء : سهولة الاغنية ، ولاأريد ان أعرفه .. ثمة من ينتهج طريق السيارات الفائقة السرعة (الأوتوروت)، لكنني أفضل ان أنتهج طريق (الماعز) . انه اصعب ، لكنه أجمل .

انه معطر دائما .. انني فيه أعرض أقدامي للخدش والجروح باستمرار، وقلبي أحيانا ، لكن التعويض سيكون وافرا جدا في النهاية . في هذه الطريق يستطيع المرء ان يرى بعينيه ، ان يتحسس الاشياء مادام لديه الوقت الكافي ، ويستطيع ان يتخيل . الآن ، يشيع لدى الناس أن (المخيلة) هي ترف ، وهذا خطير جدا بالطبع .

انني لست بحاجة لأن استمع الى الضجة التي يحيط الآخرون بها محاورهم ، ان هذه الضجة هي التي توجه اسطواناتهم وتقدمها الى الناس . أنا لدي اغان شائعة (تحيا) منذ ثلاثين سنة ، وهذا لا يزعجني أبدا . انني اسميها الآن أغاني شائعة ، وقد كنت اسميها من قبل أغاني جميلة .. مكتوبة بجودة كافية .

● **هل تعتقدين ان ثمة (كتاب أغان جميلة) اليوم ؟**

– نعم هناك (سوشون) مثلا . انه (سوشون) جيد . لديه نوع من الدعابة (الهيومور) يمسني بشدة . ان هذا (الطعام) يسرني كثيرا ، تماما كالمرة الاولى التي قابلت فيها (جاك بريل) . انني اول من غنى لبريل .. أغنية صعبة ومنسية . انني لم آخذ منه الاغنية الاجمل ، ولكن أخذت الاصعب .. والآن ، في كل مرة أقابله ، افقد الرغبة في عمل أي شيء سوى الاستماع اليه .. انه شيء جميل كالبحر .

الشيء الذي احتفظت به كاملا هو شراستي .. توحشي .. انني لست شريرة .. على العكس ، أنا لطيفة جدا وحنونة .. هادئة جدا ، غير انني أريد ان أكون عنيفة كليا وشرسة .

● **لنعد الى استعراضك الجديد .. مم سيتألف ؟ هل ثمة (مؤلفون) جدد ؟**

– لدي العديد من الاغاني الجديدة ، أغان لـ (غوغد) ليست رديئة ، واخرى لـ (بريل) ليست سيئة ، وأغان لـ (بير سيفرز) . انني متفقة معها وهذا يعني ان الاغاني ستكون جميلة .

● **هل تعتقدين أن ثمة جيلا جديدا من(المؤلفين – المؤدين) في فرنسا ؟**

– نعم . هنالك حقا جيل جديد يكتب الاغنية ويؤديها في آن معا . اتذكر تلك القطعة التي لم تكن سيئة لصبي كان يعزف على البيانو . انني لا اتذكر اسمه .. لقد كتب اغنية جميلة تتحدث عن صبية تحكي انها قد قررت اقفال الغرفة عليها .. قررت ايصاد كل شيء .. وان لديها الرغبة بالموت .. هذا ليس بالشيء المرح طبعا ، ولكنه كتب اشياء اخرى جميلة .

● **الا تعتقدين بأن ثمة موجة جديدة من (المؤلفين – الملحنين – المؤدين) تختلف عن الجيل السابق الذي كان يؤدي الاغنية فقط ؟**

– مؤدون ؟ لم يعد منهم أحد ..لان الناس تفكر بالمال فقط . أما عن الجيل السابق فلا تقل لي أنه لم يكن فيهم مؤلفون – ملحنون – مؤدون .. بريل ، براسان ، باربارا .. انهم أفضل كثيرا من الشباب الذين يكتبون الاشياء الجديدة اليوم .

انني اتمنى ان اكون مغنية جيدة . واذا كنت اكتب أغنية صغيرة من وقت لاخر ، فأنا أفضل تلك التي يكتبها الآخرون ..

● **ما هي المضامين التي تدور حولها أغانيك الجديدة ؟**

– أحاول الآن ان أرد الاعتبار الى كلمة (زنجي) . انها – كما هو شائع – وثيقة الصلة بالنخاسة .. بيع العبيد .. لكنها لدي كلمة جميلة . انه أسود . أسود جميل .. الزنجية هي عرق .. فلماذا يتداولها الاوربيون كشتيمة .. يجب الكف فعليا في اوربا – عن استعمال كلمة (زنجي) او (عربي) كما لو أنها شتيمة .. ان هذا يغضبني كثيرا، والطريقة الامثل للافصاح عن وجهة نظري هي ان أغني. سأغني أغنية لـ (غوغو) . اغنية ذات ايقاع مهديء مع موسيقى (جوان) الفاتنة . وربما لن يفهموا شيئا ، لكنهم سيتلقون الرسالة يوما ما .. انها أغنية حب . أغنية دفء .. أغنية بشرة شهوية .. أفريقيا بلد شهوي بشكل اساسي .. جنسي حتى .. بلد جدا جميل.

● **هل غنيتِ في أفريقا ؟**

– نعم .. وفي أفريقيا ، وحدها للاسف ، غالبا مايكون الغناء للبيض .

● **هل لديك مشاريع للمستقبل ؟**

– ليس لدي مستقبل . هذا يأتي غدا . الآن ، انا افكر مثلا بأن آكل أكلة طازجة .. طازجة وغير معدة من قبل .

أنا أعمل كل شيء بمحبة .. مزيد من المحبة .. أثق كثيرا بالناس، انني صعبة المراس جدا مع نفسي .. اتعامل معها بقدر كبير من الجدية لكنني غير قادرة على معاملة الناس بمثل ذلك .. انني اذا استطعت ان أساعد الآخرين فأنا افعل ذلك بفرح .. واذا لم يكونوا بحاجة لي فان هذا لا يعود لي بشيء .

– أجرى المقابلة : برنار كوش –

● **باريس : موسم مسرحي جديد على العتبة :**

● مع اطلالة العام الجديد أعلنت الفرق المسرحية والمراكز الفنية في باريس وضواحيها ، عن مناهجها وعرض الجديدة ..

ان نصا واحدا من بين سبعة عروض مسرحية كان نصا جديدا اشترك في كتابته اثنان ، فيما كانت النصوص المتبقية جميعها نصوصا معروفة ، وقديمة حتى لكتاب عالميين مشهورين .. (ازمة النص الجديد مستحكمة منذ سنوات في رقاب المسرح الفرنسي) .

مسرح « باريس – الشرق » يقدم في نفس الوقت « بونتيلا وتابعه ماتي » لبريخت ويخرجها « غاي ريتوريه » ، و « هاملت » لشكسبير ويخرجها « بونوبيسون » و « نيكراسوف » لسارتر ويخرجها « جورج ڤيرليه » .

مسرح حي « ايڤري » يقدم مسرحية « حماة القلعة » لفيكتور هوغو .. قلعة مدينة مهجورة كان قد زارها هوغو وتخيل أناسها يعاودون الظهور في امحاءاتها وشقوقها الجانبية . مخرج المسرحية « انطوان ڤيتز » يقول :

« كان علي أن أعيد تمثل كل شيء .. الريح الهرمة والاوراق الميتة والطيور الصائحة وصليل الاغصان . كان علي ان أعيد تمثل الشيخوخة القصوى ، والهاجس الداخلي للانسان وراء التغضنات .. حديثه وراء هرمه وتلاشيه .. »

مسرح « فأرة الحقل » الساخر يعد عن احدى روايات « شارلز ديكنز » مسرحية بعنوان « داڤيد كوبر فيلد » . داڤيد هذا مولع باختراع الوقائع ومباشرة الاسفار الكبير في المخيلة . فنتازيا بؤسية ووجوه حليبية أو من الحبر ، وطفولات مستعادة أو مخترعة تنهض لتواجه التناقضات المجتمعية الكبيرة لبريطانيا قبل مائة سنة . دراما الفرد المسحوق المستأنف عيشه في الاحلام ، ودراما المجتمع في العهد الفيكتوري ، تتصاعدان بتساوق تام ، وبدعابة مرة . يقول المخرج « جان كلود بونشون » انه واثق (من قدرتها الكبيرة على الادهاش والاضحاك ، والابكاء أيضا) .

مركز أصدقاء المسرح في (جانڤيليه) يقدم مسرحيتين هما « طبول في الليل » لبريخت و « مكسمليان روبسبيير » وقد كتبها « برنار شارترو » و « جان جوردوي » .

وبما أن المسرحيتين جاءتا مستندتين على خلفية تأريخية فان مخرجيهما يدافعان عن عملهما وينفيان أن يكونا من الاعمال الوثائقية أو محاولات اعادة تشكيل التاريخ . ها هو « ايڤون داڤيد » مخرج مسرحية « طبول في الليل » يؤكد :

– (يدور الفعل المسرحي لعمل برخت « طبول في الليل » في أجواء الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد : ليلة حافلة بالاحداث تشهد عصيانا جماعيا مسلحا تقوم به حركة اليسار المتطرف « سبارتاكوس » وتستولي فيه على حي للصحف ، غير ان العصيان الجماعي هذا يتلقى قصاصا فظا ونهاية موجعة بعد اثنتي عشر يوما .

حين كتب بريخت هذا النص عام (١٩١٩) لم يكن له من العمر

سوى (٢١) سنة . ومن المؤكد انه قد ساهم في هذا العصيان ، ولو بدون يقين كامل ، غير انه لم يكن قد انخرط كليا ، بعد، وبصفاء تام في صفوف الثورة . ثم انه كرجل مسرح كان لا يزال بعيدا جدا عن « المسرح الملحمي » الذي سيؤسسه على رؤية ماركسية وثورية للمجتمع ..

ان الشاب بريخت كان يومها برجوازيا صغيرا متمردا على النظام الاجتماعي السائد : حروبه واقنعته وفظاظته .. أدبه ومسرحه المؤسسين بشكل تلفيقي على لغة رومانسية .

لقد كان هذا التمرد مشبعا بروح فردية ونهلستية (عدمية) :

« انني أعلن
انني عديم الامل تماما
العمي
يتحدثون عن منفذ ! »

في « طبول في الليل » ـ الكلام لايزال للمخرج ايفون دافيد ـ يعكس بريخت فوضى سنوات العشرينات ، ومع هذا فهو لم يكتب عملا وثائقيا ، انما كتب قصيدة عدمية ، فوضوية ومترعة بتأثيرات رامبو وكاتب درامي ألماني اسمه (بوشنر) . قصيدة ناقمة تهاجم وجوه الحياة الملفقة : بلاغتها وحساسيتها الزائفة ، واساطيرها الرومانتيكية المضحكة .

انه يخرج لنا بحقل من الخراب قريب الشبه بتجربة الفوضى التي عاشها بريخت نفسه بعد سقوط التمرد السبارتاكوسي . انها في الحقيقة رؤية عنيفة لشاعر من العشرينات هو نموذج لحساسية معاصرة تعالج أسئلتها الكبيرة وتحتفظ بيأسها من العثور على الحل، رافضة التفكير بالتاريخ : أدواره ومراحله بشكل واقعي ومعقول ..).

هذا ايضا دفاع مخرج المسرحية الثانية « مكسمليان روبسبيير » .. اسم المخرج : برنار سوبل :

ـ (مكسمليان روبسبيير ليست محاولة لاعادة تشكيل وقائع تأريخية ابدا بقدر ماهي محاولة لتتبع هذا الكائن النزيه ، غير القابل للتلوث ، روبسبيير ، منذ انتصاره الجلي عشية عيد «الروح الاسمى» في ٨ حزيران ١٧٩٤ حتى سقوطه بعد فترة قصيرة .

ان الذي يمنح المسرحية معناها وجدتها هنا هو قلق روبسبيير ومعاناته لصراع الاعضاء الاخر في « مجلس السلام الشعبي » وصمت الجمهور .. انه ادراك سياسي معاصر يبحث في حقيقة العلاقات بين الذوات العارفة الكبيرة وبين الجماهير الشعبية ، بين السلطة والديموقراطية ، بين الخيالي (اليوتوبي) والممكن التحقق .

لقد شاء كاتبا المسرحية أن يؤسسا الفعل المسرحي على مشهد عرضي يظل مهملا من قبل المؤرخين أو متمتما عليهم : بين الثالث والثاني عشر من تموز ، يختفي روبسبيير ، لا أحد يراه ، لا في الجمعية التأسيسية ولا في مجلس السلام الشعبي » . !

ان المؤلفين يستندان على ماهو شائع ومعروف لدى الجميع من الهزال الجسماني والمعنوي الذي كان يكتنف روبسبيير ويعتقدان أنه انما ـ هروبا من نزاعات داخلية وتناقضات غير قابلة للحل لثورة مجمدة ـ نفى نفسه الى « مونتمونورسي » حيث كان يعيش استاذه وملهمه (جان جاك روسو) ، دافعا بنفسه الى وحدة لا تخلو من ملمح مرضي ..

انه هناك ، كان (سان جوست) قد خف اليه ليقنعه بالرجوع واستلام منصبه في مجلس السلام الشعبي ، وذلك بعد عودة سان جوست من (فلورست) قائدا الجيوش الجمهورية الى النصر .

وبعد عودتهما الى باريس ، سيواجهان معارك دامية مع زمرة متآمرة لثورة منقطعة عن الشعب ، والمشنقة : هي التي ستكون في انتظارهما في آخر الطريق .)

ملاحظة : نشر دليل العرض المسرحي على صفحته الاولى مقطعا شعريا جميلا لهولدرلن ، الشاعر الالماني الشهير ، اترجمه لكم هنا ايضا ، اذ ربما سيكون لكثافته واكتنازه بحس الدراما االعالي اثرا في تدعيم فحوى العمل البريختي والروبسبييري الاثنين .. هذه هي ترجمة المقطع :

« ترى حرفيين ، لكن ليس رجالا ، مفكرين ، لكن ليس رجالا ، كهنة ، لكن ليس رجالا ، اسيادا وتابعين ، شبانا وحكماء ، لكن ليس رجالا ، أليس هذا مثل حقل معركة ، حيث تتناثر ، مختلطة ، ايدٍ وسواعد ، وكل الأعضاء ، فيما يسيل على الرمل دم الحياة المُراق . ؟ »

رسالة رومــا

من مراسل الاقلام

في ذكرى فيسكونتي

في شهر مارس من كل عام تجدد السينما الايطالية احزانها ، بمناسبة وفاة المخرج الكبير لوكينو فيسكونتي الذي يعتبر واحدا من اباء الواقعية الجديدة الايطالية ، ومن ابرز المجددين ممن واكبوا وصول السينما الايطالية الى قمم الشهرة العالمية .

واذا كان فيسكونتي معروفا لدى الجمهور العالمي الواسع بسبب صيته كمخرج سينمائي فان كثيرا من المختصين ، فضلا عن الجمهور الواسع في ايطاليا ، يعرفونه كمخرج مسرح واوبرا وكذواقة موسيقى مرهف الذوق والاحساس .

والحقيقة ان فيسكونتي بدا حياته الفنية في العمل المسرحي عندما اخرج في عام ١٩٤٥ مسرحية « الاقرباء المزعجون » للكاتب الفرنسي كوكتو . بعدها اخرج مسرحيات لهمنغواي ، كوكتو ، انويل، سارتر . وقد اختار فيسكونتي مؤلفين أجانب حبا منه في تجديد الثقافة الايطالية المسرحية التي كانت ، خلا بعض الاستثناءات ، محصورة ضمن افاق قومية ضيقة تلمس حدود العنصرية . وقد ارتفع الفن المسرحي بعد هذا الى مستويات بقية انحاء اوربا ، وخاصة من ناحية المضامين . والجدير بالذكر ان فيسكونتي كان يهتم ايضا بالديكور المسرحي فمسرحياته واعمال الاوبرا التي اخرجها اتسمت كلها بعظمة الديكور الذي كان مدروسا في أدق تفاصيله . وقد انتقل هذا الحب الكبير للدقائق الصغيرة في الديكور الى اعمال فيسكوني السينمائية . ويقال انه كان يشترط ان تكون المجوهرات التي تتقلدها بطلاته في بعض الافلام اصيلة وليست زائفة . لكن البعد المشهدي هذا لم ينتقل البتة من حب فيسكونتي للبعد الانساني والاجتماعي . ومن هنا اختياره لمسرحيات كتاب مثل ويليامز من جهة وميلر من جهة اخرى ثم تشيكوف وغولدوني من جهات اخرى . وكل مايهم فيسكونتي هو تمثيل لحظة الازمة التي تمر بها المجتمعات حين تنتقل من فترة الى فترة تاريخية اخرى . اما اهم ماميز اخراج فيسكونتي في المسرح فهي مقدرته الفنية الرائعة على تقديم النص تقديما مسرحيا فعالا وبشكل يوحي بمقدرة على التوزيع والتنسيق وبالميل الى الاجواء المركزة التي تتطلب اسلوبا دقيقا و لاتنبثق الا عن روح انسانية عميقة متشبعة بثقافة عالية ومرهفة .

الا ان عبقرية فيسكونتي الكبيرة والحقيقية تجلت في السينما على الصعيد المحلي . فهو بعد ان نال الشهرة واثبت المقدرة في فيلمه الاول « الهوس » بدأ يحوز على الشهرة العالية في افلام مثل « رائعة الجمال » من بطولة نجمة الواقعية الجديدة الأولى آنا مانياني . ولا أحد ينسى اليوم افلامه الاخيرة مثل « الغريب » المقتبسة عن رواية البر كامو الشهيرة ، و « موت البندقية » الذي عاشت فيه رائعة موسيقى ماهلر ، ثم « سينسو » و « سقوط الآلهة » و « نجوم

المجرة التائهة » و « البرىء » و « صورة عائلة من الداخل » الخ.

من جهة اخرى بين فيسكونتي كيف ان موضوع « الوحدة » هو

وقد تداولت الصحف الايطالية مؤخرا الكثير عن حياة فيسكونتي واعماله . وتقدم فيما يلي مقتطفات من التصريحات التي أدلت بها مساعدته الكبرى والشهيرة في كتابة السيناريوهات لجميع افلامه وهي سوسوشيكي داميكو ، وبينت خلالها كثيرا من طريقة عمل وآراء الفنان الكبير :

« ان ماأريد قوله عن فيسكونتي هو مابدأ الجمهور الواسع يعرفه على وجه الدقة . ففيسكونتي اليوم لايعتبر فقط كماكان يعتبر في البدء ، اى مجرد فيسكونتي كما كان يظهر في المجلات الاسبوعية ، ليس الا رجلا من النبلاء ، كونتا أحمر ، ارستقراطيا يحب الشعب ويتسلى بالفن . الجميع يعرفون اليوم قدره كمجدد . واليوم لايمكن لأحد ان يخرج فيلما او مسرحية كما كان يجرى قبل خمسين سنة ، وهذا من فضل فيسكونتي . لقد قام فيسكونتي بثورة فعلية . وكان يستلهم في هذا خيالا فنيا محددا ارشده طيلة حياته . واعتقد ان الزمن والتاريخ سيعطيانه ذلك البعد الثوري الذي استطاع هو زرعه في عالم الفن . كان انسانا فذا ، مفعما بالفضول الفكري . كن يدرس ويعمل ويكتب حول كل الامور مثل جميع عظماء الفكر المنهمكين في البحث الباطني المقدر للذات وليس للاخرين . كان كريم المحتد عميق الانسانية .

ويذكر ماريو مالديزي أحد كبار معاوني فيسكونتي في مجال الصوت كيف ان فيسكونتي كان يكن كل الاحترام لمساعديه وكان يدافع عن مصالحهم وكان يصغي على اقتناع منه بأن اراءهم كانت تبذل لما فيه صالح الفيلم . ويضرب مثالا على ذلك حادثا جرى معه شخصيا عندما كان فيسكونتي يبحث عن ممثل يقوم بدوبلاج شخصية كبيرة من فيلم « روكو واخوته » الذي صور بالفرنسية . وساق له مالديزي اسم احد الممثلين الايطاليين ، لكن فيسكونتي رفضه في الحال . وبما ان مالديزي كان على اقتناع بصلاحية صوت الممثل وملاءمته للدور فقد استدعاه سرا وسهل له بعض المقاطع من الفيلم وسجل نفس المقاطع بأصوات ممثلين اخرين ثم اسمعهم جميعهم لفيسكونتي الذي لم يتردد في اختيار صوت الممثل المذكور . وعندما سأل عن اسمه وتبين له انه نفس الممثل الذي سبق له وان رفضه اخذ في الضحك وفي الربت على كتف مالديزي اقتناعا منه بأنه عمل خيرا بالنسبة للفيلم .

لكن لنسمع صوت فيسكونتي القديم وهو يتحدث عن السينما. ماذا يريد فيسكونتي بالذات من السينما ؟

« الا تكون امرا غرضه التسلية والهروب . أن تعلم شيئا ما . أن تفسر الحياة . والعلاقات الانسانية . وهذا نافع اليوم على وجه الخصوص حيث نرى أن كل شيء يسير وجهة الخطأ . ان بوسع السينما ان تمد يد العون . وبخاصة عندما تكون النية صافية طيبة . في فيلمي « عائلة في الداخل » مثلا تكلمت عن شباب اليوم . أظن أن بوسع هذا الفيلم ان يساعد الشبيبة الذين يرون انفسهم وشخصياتهم في هذا الفيلم . اني اعرف كثيرا من الشباب وارى كيف يتصرفون ، اعرف ان منهم من يفعل كل شيء في سبيل الحصول على بعض الكوكائين ومن اجله يستهتر بكنوز من المحبة ومن العواطف . اذا رأى هؤلاء الفيلم فلابد ان يتخيلوا المصائب التي تنتظرهم ان استمروا على نفس الطريق . بوسع هذا الفيلم ان يساعدهم، ربما لن يتحسنوا، لكنهم لابد ان يبدأوا بالتفكير » .

من جهة اخرى بين فيسكونتي كيف ان موضوع (الوحدة) هو الموضوع الذي يسود معظم افلامه :

« ارى ان فيلمي « عائلة من الداخل » يشبه كثيرا من افلامي السابقة كما انه لايشبه احدا منها البتة . ممن الافلام البقية يحمل موضوع الوحدة الذي نراه في « الفهد » في « موت في البندقية » في « لودفيغ » ، فالوحدة تتوضح امام شخصيات هذه الافلام مع الزمن. ونرى الموضوع في « الغريب » كما في « سينسو » و « روكو » و « نجوم المجرة التائهة » التي نرى ان شخصياتها تنتهي وحيدة اما باختيارها او بسبب ضغط الاحداث التي تمر بها في حياتها . اما الجديد في هذا الفيلم فهي الصورة التي نرى انها تحيط بالشخصية عن قرب لتبرزها ولتضعها وجها لوجه امام الجمهور . لهذا استعملت اللقطات المكبرة على خلاف عادتي عندما كنتاستعمل اللقطات البعيدة. كما كنت استعمل اللقطات الطويلة التي توحي بالبعد .

رسالة وارشو

من عدنان المبارك

مسرحية عراقية ودراسة عن المسرح المصري والثقافة الافريقية في مجلة (ديالوج)

في عدد تشرين اول ١٩٧٧ من المجلة الشهرية البولندية « ديالوج » نشرت مسرحية (الصخرة) لفؤاد التكرلي . وهذه المجلة تصدر منذ عام ١٩٥٠ وهي تعنى بشؤون الخلق الدراماتورجي في المسرح والاذاعة والتلفزيون والسينما . وتعد من ابرز المجلات الاوربية في هذا الحقل . وتقاريرها عن المسرح في العالم تعد من المصادر الهامة . وقد نشرت المجلة في السنوات الاخيرة دراسات قيمة عن المسرح الافريقي والاسيوي كما قامت بترجمة عدد من المسرحيات المعروفة في العالم الثالث . والى جانب مسرحية التكرلي نشرت المجلة دراسة قصيرة عن المسرح المصري المعاصر . كذلك هناك دراسة تخطيطية عن بعض مشاكل المسرح في افريقيا السوداء .

قامت بترجمة (الصخرة) المستعربة البولندية الدكتورة بولانتا باشينسكا التي سبق ان ترجمت اعمالا ادبية عربية عديدة بينهما مسرحيات لعبد الصبور و ونوس وقصة لعبدالرحمن مجيد الربيعي. وفي نيتها نقل عدد من القصص العراقية المعاصرة الى البولندية . ولقد كانت ترجمة (الصخرة) نقلا جيدا لاجواء التكرلي ولغته . وللاسف لم تظهر مع الترجمة اية مقدمة او رسم تعريفي بأدب التكرلي وموقعه في أدبنا المعاصر .

كانت دراسة المجلة عن المسرح المصري بعنوان (ربع قرن على المسرح المصري) . وقد جهدت المجلة في تقديم عرض واف للحظات الهامة في تأريخ هذا المسرح . بيد ان الدراسة لا تعد كونها تسجيلا قام به مراقب خارجي وقع في الكثير من التعميمات التي نتجت بدورها عن عجزه عن ادراك الكثير من الظروف والملابسات التي رافقت هذا المسرح الذي يعد من اقدم المسارح العربية . كذلك هناك النظرة (الاغريقية) التي تحاول تفسير النشاط المسرحي على أسس عملية ونظرية تخص المفهوم الاوربي ، ولدرجة القول بأنعدام المسرح في التاريخ العربي وبسبب الحظر الديني المعروف للتقديم المسرحي وكما كان الحال مع عنصر التمثيل في الفنون الاخرى كالتصوير والنحت. الا ان الدراسة تقع في تناقض حين تعترف بأن اشكالا مسرحية معينة كانت قائمة في الحياة الروحية للمجتمع العربي ومنذ القرون الوسطى . وتذكر هنا العروض التمثيلية الشعبية (من الف ليله وليله) والالقاءات الشعرية ورواية الحكايات وعروض الاسواق المنظمة بمناسبة الاعياد وغيرها . وكاتبة الدراسة تدمج هذهالفعاليات في صنف واحد بينما الصنف الثاني هو تلك العروض ذات الطابع الديني البحت . بعدها يكرس الحديث لمسرح خيال الظل في مصر والذي جاء كصيغة محلية للمسرح التركي الذي سمي بالقراقوز

نسبة الى اسم البطل التركي لمسرح الدمى . وتشير الدراسة الى مسألة ان اولى المسرحيات في الادب العربي ظهرت في منعطف القرنين الثالث عشر والرابع عشر وكان قد كتبها بن دانيال لمسرح خيال الظل في مصر . بعدها ينتقل الحديث الى الحركة المسرحية التي برزت مع النهضة العربية في النصف الثاني من القرن الماضي وعلى يد مارون النقاش وابي خليل القباني ويعقوب صنوع ، وينتهي ، عبر اشارات سريعة ، باعمال الحكيم (نشرت المجلة مسرحيته (نهر الجنون) في عام ١٩٧٢) وعاشور وفرج . وتقوم المؤلفة ، هنا، بتصنيف التأثيرات الاوربية التي تعرض لها الاديب المسرحي المعاصر في مصر . مثلا تسجيل تأثيرات تشيخوف وجوركي على نعمان عاشور. وشكسبير علىالفريد فرجاو علىاحمد باكثير وابسن على محمود تيمور، وسوفوكليس والمسرح الاغريقي عامة على توفيق الحكيم الذي سجلت الكاتبة ايضا تأثيرات المسرح الاوربي المعاصر (بيكيت وايونسكو وشعر وايلد) عليه . وتجد المؤلفة ان هذه التأثيرات لا تعني الانسياق التام بل هي بمثابة الهام ومنحى لا يمت بصلة لما كان في المسرح المصري حين « عرب » الادب المسرحي الاوربي في النصف الثاني من القرن المنصرم .

وتلاحظ الدراسة ان هناك مراحل متمايزة في تأريخ مسرح مصر المعاصر . في الخمسينات جرى تبلور الدراماتورجيا القطرية كصنف ادبي جديد . وحينما ساد التقديم الواقعي للموضوع الاجتماعي أو السياسي بكامل نقده او هجومه على النظام الملكي ـ الاقطاعي ، مع مزاوجته بالنزعة التفاؤلية . وتضرب مثلا على ذلك بأعمال لنعمان عاشور . والكاتبة تعتمد هنا على اراء معروفة بينها ماجاء في كتاب محمد مندور (في المسرح المصري المعاصر) . وبرأي الكاتبة فان مسرحية الحكيم (الصفقة) من عام ١٩٥٦ كانت حدثا انعطافيا في عالمه التأليفي الذي بني ، في السابق ، على قواعد المسرح الرمزي ذيالميل نحو التفلسف . فبرأيها تكون (الصفقة) بداية تيار التأليف المسرحي المكرس للقضية الفلاحية (وكان ذلك أمر غير طبيعي في بلد تكون نسبة الفلاحين فيه ٨٠٪ وهي النسبة نفسها للامية) .

ووفق تصنيف المؤلفة تكون المرحلة التالية مرحلة التطور الديناميكي التي جاءت في الستينات وخصت على حد سواء ، التأليف والعمل المسرحي . وهنا تميز ثلاث نزعات ـ « الدرائعية » المتحمسة للبناء الجديد وشجب النظام السابق (سعدالدين وهبه ولطفي الخولي) والثانية هي جديدة تماما وواقعية ايضا الا انها ذات منحنى نقدي سياسيا واجتماعيا (ميخائيل رومان) . وحينها اصبح شائعا موضوع محاربة البيروقراطية . وابرز عمل من هذا الصنف (عسكر وحرامية) الذي وضعه الفريد فرج في عام ١٩٦٦ حيث خلق بطلا ايجابيا يلاحق الفساد . وتشير المؤلفة الى التعديلات التي ادخلها المؤلف على النص الاصلي في عام ١٩٧١ وتحت تأثير التبدلات العامة التي جاءت بعد وفاة عبدالناصر . وبخصوص الصنف الثالث فالمؤلفة تجد انه يشمل اعمالا ذات طابع غير متناسق الا ان صفتها المشتركة هي تلك الانطلاقة غير المباشرة صوب القضايا المعاصرة . فهنا تبرز عقد رمزية واخرى ذات صلة بالتقاليد والتأريخ والاساطير كذلك حصل الاستغلال الاقصى للمنابع الفولكلورية فيما يخص الشخوص والمواقف . ولعل النموذج الرئيسي لهذا الصنف هو مسرحية (ياسين وبهية) لنجيب سرور التي صدرت في عام ١٩٦٥ . ومن الرصيد الفولكلوري يأخذ يوسف ادريس العقد لعمله (الفرافير) حيث يوجه المؤلف ، من خلال البطل ، النقد الساخر للحياة المصرية في قطاعات كثيرة . كذلك جرب الشاعر صلاح عبدالصبور قوته ، في المسرح حين كتب (مأساة الحلاج) في عام ١٩٦٤ والتي ادرجتها المؤلفة ضمن تيار أسمته باللاواقعي . وتقول ان هذه التيارات استمرت بعد هزيمة حزيران التي عبرت عنها مسرحية علي سالم (أوديب انت اللي قتلت الوحش) التي (يتكلم فيها الابطال ويتصرفون كمصريين معاصرين بكل حسناتهم وسيئاتهم . فأوديب وفر الامان والرفاهية للبلاد حين هزم الوحش الميثولوجي . الا ان هجمة الوحش التالية اجبرت الشعب كله على الوقوف دفاعا ، وليس أوديب لوحده . وهنا نجد مجتمع طيبه الذي اخذ على حين غرة ، وبعد ان تحرر من السلطات الفاسدة والعاجزة . فهو لا يقدر على القتال ويصاب بالهزيمة .. هزيمة حزيران) . كذلك تقوم المؤلفة بتصنيف الاعمال المسرحية المكرسة لنكسة حزيران داخل مجموعتين . الاولى تتحدث مباشرة عن الحرب والثانية قدمت الحرب بشكل رمزي او انها تحدثت عن عواقبها وامتداداتها النفسية في المجتمع المصري .

أما عن مسرح السبعينات بقطاعاته الثلاثة ، الحكومي والخاص والاقليمي فتقول المؤلفة (الاول يعيش ازمته والثاني يبيع بضاعة معروفة اما الثالث فله اوضاعه ومساراته الخاصة . وهذا المسرح يملك هامشا كبيرا للاعمال التجريبية رغم انه يتعامل مع متفرج ينتمي دائما الى طبقة الفلاحين . كذلك يسعى هذا المسرح الى استغلال عناصر الثقافة الشعبية في عمله وحتى انه يشرك الفلاحين في التقديم حيث يمثلون انفسهم في كل الاحوال) . وتلاحظ ايضا ان اليسار المصري يعير أهمية خاصة للتعاون مع المسرح الاقليمي الذي يجد فيه عناصر كثيرة تؤهله لان يكون (مسرحا وطنيا) . ولعل ابرز دليل على هذا الرأي ،مهرجان مسارح الاقاليم الذي جرى في القاهرة في عام ١٩٧٦ حيث حوى برنامجه عروضا ارتفعت كثيرا فوق مستويات المسرح المحترف . وتسوق المؤلفة في الختام ملاحظة تخص التاليف المسرحي المصري عامة والذي ينشطر الى جهتين متعارضتين تماما . الاولى تنقل بتبعية ، النماذج الاوربية المعاصرة والثانية تهضم العناصر الاساسية لهذه النماذج وتصهرها بالتقليد الوطني .

وفي عدد المجلة نفسه نجد مقالة واسعة عن مشاكل الثقافة الافريقية وعلى ضوء مهرجان لاغوس الذي جرى في اوائل عام ١٩٧٧ . وكان هذا المهرجان الثاني للفن والثقافة الزنجية والافريقية ، حيث عكس العملية الجارية في افريقيا المعاصرة ، عملية تكييف التقاليد للظروف المعاصرة . لقد كان المهرجان استعراضا كبيرا للتيارات والنزعات الحالية في الثقافة الافريقية ومشاكلها . وكاتبها يتطرق الى العقدة الاوربية لدى الافريقي المعاصر والتي خلقها الاستعمار من خلال ثقافته وكنيسته . أنها عقدة النخبة الافريقية فحسب . فالمستعمرون تجاهلوا وطمسوا ، عن عمد ، الميراث والحضارة القديمة في القارة وذلك كي يخضعوا ، على حد تعبير فرانز فانون ، الافريقي بشكل اقوى ويقنعوه بأنه لو لم يكن المستوطنون البيض لعاد الافارقة الى ازمان البربرية والحيوانية .

والحق ان انتزاع الاستقلال لم يلغ اللاتناسب الحضاري بين الدولالافريقية الفتية وعالم العلوم والتكنيك المتطور . ونتائج ذلك تلمس على الصعيد السايكولوجي كذلك : فقدان الايمان بالقوة الذاتية وانعدام الثقة بكل ما هو أفريقي . وكما يقول الافارقة بأنفسهم فالكولونيالية قد حصلت ، وقبل كل شيء ، في الحقل الروحي . والمجابهة هذه العقد دعت الطليعة السياسية والثقافية (سنغور وفانون ونكروما) الى ارساء الحاضر على التقاليد الكبرى للحضارات الماضية وفنونها . حتى ان التحرر الروحي يعامل في افريقيا السوداء كمرحلة ثالثة للتحرر ، بعد الانعتاق من الرق ونيل الاستقلال السياسي . وفي هذه الظروف تكتسب الحصيلة الثقافية للافارقة أهمية قصوى . وتحت شعار النهضة الثقافية والتوكيد على الارث الثقافي تجري المهرجانات القارية ـ المهرجان الاول للفن الزنجي في داكار في عام ١٩٦٦ والمهرجان الثقافي لعموم افريقيا في الجزائر في عام ١٩٦٩ . والشيء نفسه حصل حين التحضير لمهرجان لاغوس الذي اريد له ان يكون تظاهرة مدوية للتضامن الزنجي . فبرأي عدد من الافارقة ان هذا التضامن يمكنه ان يزيل عواقب الصدع الجغرافي والديني واللغوي للثقافة الزنجية ويمكن

ان يصبح ايضا اساسا للمرحلة الجديدة من عملية استعادة الافريقي لكينونته الثقافية والحضارية .

ان المقالة البولندية تستعرض المشاكل الملتهبة التي تعيشها الثقافة الافريقية (الطامحة لان تكون زنجية قبل كل شيء) . ونجد الكاتب يشخص ، هنا ، بصورة صائبة ، كافة ابعاد التحرر الثقافي لافريقيا ، مثل الاعتماد على التراث والتعامل الموضوعي مع المعاصرة والابتعاد عن العقد الضدية كتضخيم انجاز الماضي وغلق النوافذ امام التيارات الحضارية والثقافية الاخرى بحجة انتمائها الى مناطق وشعوب غير زنجية . مثلا هناك العالم السنغالي ديوب الذي يقول بأن افريقيا لم تكن فقط منبت الجنس البشري بل انه في افريقيا ولدت الثقافة البشرية . ففي كتبه ، مثل (الشعوب الزنجية والثقافة) و (الاصول الافريقية للثقافة : أساطير أم حقائق) . يفترض ان مصر والحبشة وفلسطين وفينيقيا وبلاد العرب (جنوب الجزيرة) كانت اراضي سكنها الزنوج الذين خلقوا فيها الحضارات التي يحسب عمرها بالاف السنين . والواقع ان نظريات ديوب واتباعه يمكن معاملتها ، رغم الاحتمالات العلمية لصحتها ، كدواء جيد لعلاج مركب النقص الاوربي لدى الافريقي . اما صوت افريقيا الاخرى التي تريد حقا ان تعرف موقعها ثم شق طريقها ، فقد مثله في مهرجان لاغوس خطاب الرئيس النيجيري أوبا سانجو حين اكد على النزعة القائمة صوب المزاوجة السليمة بين التراث الافريقي والمعاصرة العالمية . قال : هناك دلائل كثيرة على ان الافارقة يملكون ماضيا غنيا ورائعا يضمن بجميع شعوب افريقيا مرتبة مجيدة في العالم (...) ان قارتنا العظيمة كانت لها حضاراتها العظيمة سواء قبل يقظة النصف الشمالي من الكرة الارضية او بعدها) . ثم دعا في خطابه الى نبذ الهوس بالماضي والتركيز على الحاضر والمستقبل وظروفهما الاجتماعية والاقتصادية وتعميم التقدم التكنيكي والتصنيع وتطور العلم في افريقيا (فبهذا تقترب افريقيا من الهدف المرغوب وتضمن مشاعر الكرامة والتقدير والتحرر النهائي الـذي تسعى اليه . التحرر المادي والروحي ، التحـرر من دور مقلـدي البلـدان الصناعية) .

لقد كان هذا الخطاب تشخيصا ايضا لمشكلة (النخبة) الافريقية التي ، كما قال ، وقعت ضحية للعبودية الثقافية والفكرية . ودعا الجنرال النيجيري الى تحرير هذه النخبة (حلقة الوصل بين أفريقيا والغرب) من عقدها . وقال أيضا : ينبغي ان يفهم الجميع ان قوة الغرب قد أرست سيطرتها السياسية والايدلوجيـة على التفـوق التقني . وعلى الافريقي واخيه في العالم ان يؤكد على حضوره في تطور التكنيك الحديث (...) وبالاعتماد على ثقافته الخاصة) .

ان حالات التعارض في الواقع الافريقي قد وجدت لها مكانا ، بالطبع ، في مهرجان لاغوس . ورغـم ان المقالة البولندية تشير باقتضاب الى حالات الاشتباك الايدولوجي هذه ، فهي تبقى بـدون رأي . ولربما جاءت هذه الحيادية من ادراك الكاتب لأوربيته ! .

ومن اجل فهم الفصل الخلفي في تأريخ مهرجان لاغوس علينـا ان نعود الى المهرجان الاول في داكار وحين تقرر عقد المهرجان التالي في لاغوس في عام ١٩٧٠ . الا ان ظروف الحرب الاهلية في نيجريا وغيرها من التطورات والاحداث في الساحة الافريقية جعلت موعـد المهرجان يؤجل مرات عديدة . وفي الاخير قامـت احدى المنظمـات وأسمها (الجمعية العالمية من أجل مهرجان الفن الزنجي)بطرح اقتراح عقد المهرجان الثالث (بعيدا عن السياسة والايدولوجيا) .. وهذه الجمعية المجهولة وجدت مقرا لها في داكار . واما هيئتها العامة فكانت مؤلفة من ثلاثين شخصا يمثلون البلدان الافريقية التي كانت مستعمرات بريطانية وفرنسية . ورئيسها كان ايميه سيزار واحد نوابه جيمس بالدوين الذي مثـل الدياسبور الزنجي .أوما أسـموه كانت من اعداد ليوبولد سيدار سنغور الذي كان ومازال مطمحـه الاكبر بسط سيطرته على عالم الثقافة الافريقية . فسنغور كان المبادر بعقد مهرجان داكار الاول والذي جرى تحت شعار الزنوجة ، ممـا اثار اعتراضات قوية من جانب عدد كبير من البلدان الافريقية. وهكذا عقد مهرجان عموم افريقيا الثقافي في العاصمة الجزائرية ، لغرض (Africa abroad) والواقع ان مناورة تنظيم هذه الجمعية خلق القوة المكافئة ودعم هيبة منظمة الوحدة الافريقية . وبعدها بذل سنغور الجهـود لتنصيب السنغالي ديـوب سكرتـيرا عاما للجنـة التحضيرية للمهرجان . ورغم ذلك فلم يفلح ديوب في منع النيجيريين من دعوة ممثلي افريقيا العربية للمشاركة في مهرجان لاغوس وندواته. وبالطبع عامل سنغور هذه الدعوة كتحد لشعاره الزنوجي واعتبـر مسألة السماح لغير الزنوج بالاسـهام في المؤتمر كنوع من الكفـر والتعرض للمقدسات حيث اعلن عن انسحاب السنغال من المهرجان وقيامها بتنظيم مهرجان خاص . لكنه انهى المقاطعة حين وجد نفسه وحيدا . أما الآن فالظاهرة ان سنغور انتقل مـن جديد الى الهجوم. فأيميه سيزار احد واضعي مفهوم الزنوجة اصبح رئيسا لتلـك الجمعية وديوب سكرتيرا عاما لها . كذلك اعلن سنغور ان السنغال يمكنها ان تنظم وتستضيف المهرجان الثالث اذا تطلب الحال ..

والحقيقة ان هذا الفصل السنغوري في السجل المعاصر للثقافة الافريقية يمكن معاملته بصورة هامشية . فثمة تيارات أقوى واكثـر صحة ، تقرر سمات العملية الثقافية الكبرى التي تجري في القارة الافريقية . وللاسف لم تعرها مقالتنا هذه الانتباه المناسب بل انشغل كاتبها في تقديـم صـورة عامـة ذات عناصر متراكبـة يمكـن لمس (خارجيتها) بمنتهى السهولة .